

## الفصل الحادي عشر



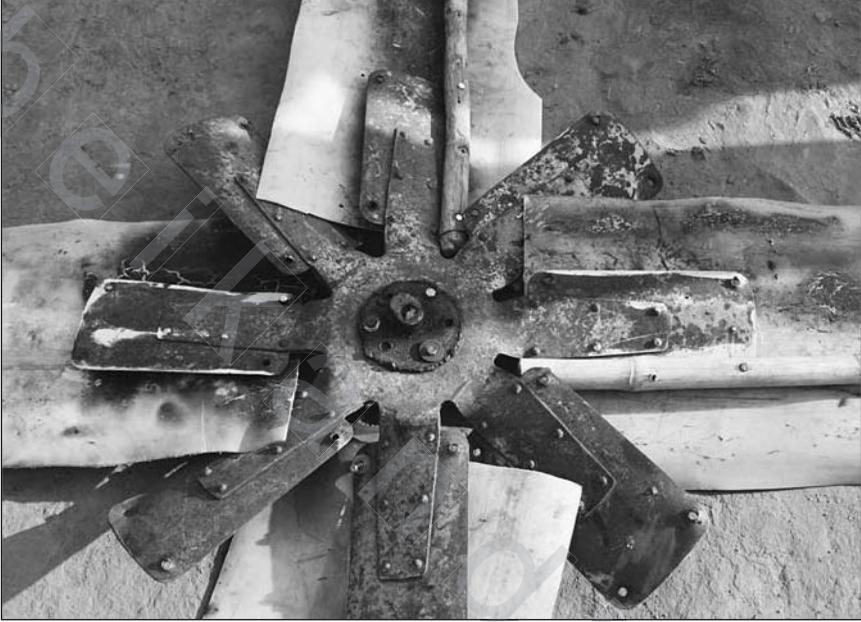
بعد تناول طعام الغداء في اليوم اللاحق، بدأت بتركيب القطع. فأخذت المروحة، والشفرات، والمسامير والمولّد، خارجاً خلف المطبخ، ثمّ رتبّتها في صفّ أنيق على التراب الصُّلب الأجدب.

كانت المساحة واسعة، خالية، نظيفة، مثالية للشروع في بناء الآلة، قريبة من غرفتي ومن المطبخ، وكانت تُعدّ - بالنسبة إليّ -

مختبراً ومخزناً وورشة، إضافة إلى أنها كانت أفضل منطقة مظلمة. فعندما كانت شمس الصباح على أشدها، كانت شجرة الأكاسيا الكبيرة خلف المرحاض تورفني بظلاً، مُوفِّرة لي أسباب الراحة في أثناء العمل. وحين تنحرف الشمس في أثناء الظهيرة، يتولّى المطبخ تلك المهمة، مُوفِّراً ظلّاً مناسباً. كانت تلك البقعة أيضاً أفضل مكان في محيط البيت لاستقبال الرياح الشرقية القادمة من البحيرة مروراً بالجبال. وحين بدأت العمل منتصف الظهيرة، شاهدت مرتفعات دوا المحاطة بالسمااء الزرقاء، في منظر بديع يوحي بالعظمة.

كنت أولاً في حاجة إلى وصل الشفرات بمروحة الدوّار. لذا، دخلت المطبخ، وحضّرت مثقباً، ثمّ أمسكت المسمار الطويل بالمقبض المصنوع من عرنوس الذرة، وضعته في الجمر. وحالما أصبح ساخناً جداً، استعملته لإحداث أربعة ثقوب في أعلى الشفرات البلاستيكية، وثقبين آخرين في الوسط. وقد استغرقت عملية التسخين والتدوير وإعادة التسخين تلك قرابة ثلاث ساعات.

بعد ذلك، استعملت مفتاح ربط أصغر حجماً؛ لتثبيت الشفرات بمروحة الجرّار بوساطة الصواميل والمسامير التي اشتراها غيلبرت. لم يكن لدينا حلقات معدنية لتثبيت المسامير جيداً. لذا، قضيت الساعة اللاحقة في جمع أغطية الزجاجات من جانب مركز أوفيسي للخمور؛ لتحلّ محلّها.



مروحة الجرّار والشفرات من أول طاحونة هوائية كبيرة صنعتها. التقطت هذه الصورة بعد أن استبدلت حلقات حديدية بأغطية زجاجات جعة كارلسبيرغ وأضفت بعض المسامير. عدا ذلك، فكلّ شيء كما هو.

انظروا، قالها أحد السكارى الواقفين في الممرّ بعينين مشوشتين توشكان أن تُطّيحاً به أرضاً، ثمّ أضاف: أصبحت الحكومة تُنظّف الشوارع أخيراً. يا فتى، هل لك أن تجلب لي مشروباً؟ أنا يتيم كما تعرف.

قلت: آسف، أنا مشغول.

وبعد جمع ستة عشر غطاءً من أغطية زجاجات جعة كارلسبيرغ، نظّفتها، ثمّ أسرعت عائداً إلى البيت. وهناك أخذت أطرقها لتصبح مسطّحة، ثمّ وضعت المسامير فيها من المنتصف. لقد كانت مناسبة تماماً. بعدئذٍ، بدأت بتدعيم الشفرات – كما يُجبرّ العظم

المكسور- باستخدام قطع من الخيزران، طول كل منها ثلاث أقدام. وحالما انتهت من ذلك، أصبح باع كل شفرة ثماني أقدام تقريباً.

تفرغت - بعد ذلك - لتثبيت هيكل الدراجة، فوضعت الدوّار والشفرات على أربع قطع من الطوب بالطريقة نفسها التي تُرفَع بها السيارة؛ لأتمكّن من العمل تحتها. كان التحدي الأكبر يتمثّل في تثبيت الدراجة بالشفرات؛ إذ كانت الدراجة ثقيلة، وغير متوازنة، بسبب بروز مخفّف الصدمات من العجلة المسنّنة. وأخيراً، تمكّنت من رفع الدراجة ونفّها بحيث يتجه مخفّف الصدمات إلى أسفل، ثمّ ثبتّها بالفتحة المتوسطة للمروحة والشفرات. وبذا، أصبحت الدراجة موزونة على ذراعها، فانحيت تحت الشفرات، واضعاً المسمار الخابوري في الطرف الآخر لمخفّف الصدمات، ثمّ ثبتّه بإحكام.

بعدئذٍ، ثبتّ المولّد بهيكل الدراجة، بحيث تلامس عجلته المعدنية حافة الإطار الخارجية. ثمّ وصلت السلسلة بالعجلتين المسننتين؛ الأمامية والخلفية، مع التأكد من ثباتها وقدرتها على الصمود.

كان الوقت أواخر الظهيرة، وكان محيط البيت خالياً تماماً. وكانت شقيقتي في الخارج يقمن بواجباتهنّ. أما والدي، فكان يشارك في جنازة بقرية مجاورة. في حين كانت والدي تدندن مع نفسها في المطبخ في أثناء تحضير العشاء، وكانت بين الفينة والأخرى تهمس شيئاً إلى تياميكي التي كانت مستلقية بهدوء في مهدها قرب الباب. وما لفت انتباهي، عدم تشغيل المذياع - على غير العادة -، فتلذّذت بطعم ذلك الهدوء النادر، ورائحة الفول الشهي المنبعثة من المطبخ. لم يكن هنالك أيّ منغصات.

حينما انتهت من تثبيت المولّد والسلسلة، كان الظلام قد خيم على المكان، وأصبح من الصعب المضي في العمل. فسحبت دلو ماء من البئر وسخّنته كي استحم، ثمّ ذهبت إلى غرفة المعيشة لتناول طعام العشاء. كانت شقيقتي روز قد عادت للتو من السوق، وشاهدتني في أثناء دخولها. وما هي إلا لحظات حتى وقفت مع بقية شقيقتي حول الآلة ضاحكات.

قالت روز: لم نشاهدك طوال اليوم يا ويليام. كان الناس في السوق التجاري يسألون

قلت: شقيقك مشغول.

قالت: أخبرتهم أنك تلهو بقطعك المعدنية كي تولد الطاقة.

قلت مبتسماً: شيء من هذا القبيل. انتظروا؛ فسوف تُفاجأَن عن قريب، أنتنَّ والجميع.

بعد تناول العشاء، ذهبت إلى غرفتي مُنهكاً، ثمَّ خلدت إلى النوم سريعاً.

استيقظت في صباح اليوم القادم مع أول شعاع شمس، وكنت مستعداً لإكمال العمل. كان عليّ إيجاد طريقة لرفع هذه الآلة الثقيلة وتحريكها. لذا، أخذت قطعة أخرى طويلة من الخيزران، ثمَّ مرَّرتها من الهيكل مع حبل لتصبح كالمقبض.

ثمَّ خططت لبناء برج خشبي طويل؛ بغية تثبيت الآلة بأعلى نقطة فيه. ولكن، كان عليّ أولاً التحقق من مدى نجاح هذه العملية؛ وذلك باستخدام برج مؤقت للتجربة. كانت لديّ قطعة أخرى من الخيزران يبلغ عرضها نحو ستة إنشات. وقد استخدمت مثقابي الخاص لعمل ثقب في أعلاها، ثمَّ غرزت العمود في التربة الحمراء.

حينها، رأيت جيفري يركب دراجته. كان عائداً من تشييومبا. وقد صادف أنه يوم عطلته، فجاء لزيارتي.

قلت: لقد جئت في الوقت المناسب، فسألني: هل هذا هو المشروع نفسه الذي كنت

تعمل عليه؟

أجبت: نعم، هذا كل شيء. أنا سعيد لمجيئك يا صديقي. ساعدني على رفع هذا الشيء وتثبيتته بالعمود.

وبعد أن ثبتنا العجلة بمبرق دراجة مثني لكيلا تدور، حملنا الآلة بحذر، ثمَّ ثبتنا جيفري بإحكام إلى العمود بوساطة سلك وقطعة مطاطية، قائلاً: يا إلهي، انظر إليها.

مشيت حول الطاحونة، مُنعماً النظر فيها من الزوايا كلها كما لو كانت مسخاً غريباً،

ثمَّ قلت: ما أجملها!

سأل جيفري: هل نبدأ؟

أجبت: أجل.

انتزع جيفري المبرق من العجلة لتبدأ الشفرات بالدوران. كانت حركتها بطيئة في البداية، لكنها أخذت تُسرّع شيئاً فشيئاً. وما هي إلا ثوانٍ معدودات حتى بدأت الشفرات تدور بسرعة كبيرة، لدرجة أنّ السلسلة انشطرت إلى جزأين، وكاد العمود أن ينقلب.

فصرخت قائلاً: امسك بها!. وقد تمكّنت من الإمساك بها قبل أن تسقط على الأرض وتتفكك.

ولحسن الطالع، فإنّ الحفرة التي حفرتها كانت واسعة بعض الشيء؛ ما ساعدني على لفّ العمود، وإبعاد الآلة عن اتجاه الرياح. وما إن توقّفت الشفرات عن الدوران حتى بدأت بإصلاح السلسلة. وقد استغرقت هذه العملية ساعتين.

كان أحد أهداف التجربة، هو تعرّف أكان المولّد يولّد تياراً كافياً أم لا؟ لذا، نزعنا بعض الأسلاك من مولّد الدراجة الهوائية، ثمّ وضعناها في تجويف مذياع والذي ذي البطاريات الأربع والتيار المتناوب. أدارت الرياح الشفرات مجدّداً، فسمعت موسيقاً مدّة لا تزيد على ثانية. لقد نجح الأمر أخيراً! ولكن، سرعان ما بدأ المذياع يصدر دخاناً أسود من السمّاعات، وكاد أن يشتعل.

انظر ما حلّ بمذياع والدك!، قالها جيفري وهو يلتفت يمنة ويسرة، أملاً ألا يشاهد والدي في الجوار.

كنت متحمّساً جداً، ولم أكرث لذلك، فقلت: هل رأيت الطاقة يا جيفري؟ هل رأيتها؟.

وفي هذه اللحظة، انفجر المذياع لأنني نسيت أنّ المولّد يولّد طاقة قدرها اثنا عشر فولتاً، بينما يتحمّل المذياع نصفها فقط. أضف إلى ذلك أنّ الرياح تلفّ الشفرات على نحو أسرع من الشخص الذي يحرك دوّاستي الدراجة؛ وهذا يعني وجود ما يشبه تدفقاً كبيراً للطاقة هنا. لذا، كان عليّ إيجاد طريقة لتقليل الفولتية.

كنت قد قرأت عن الفولتية في كتاب شرح الفيزياء، ولحسن حظي أنه كان في غرفتي (كنت الوحيد الذي استعار الكتاب أصلاً). أخذت أقلب صفحات الكتاب إلى الصفحة التي رأيت فيها رسماً معيناً يُظهر مصباحين (لمبتين) منفصلين مُضاءين بوساطة مصدر منخفض، تبلغ طاقته اثنا عشر فولتاً؛ أي مثل الذي عندي تماماً. كان المصباحان موصولين بأسلاك طويلة، وكانت إضاءة أحدهما ساطعة بفضل شيء يُدعى المحوّل، الذي كان يزيد من فولتية التيار المتناوب ويجعلها أقوى. أمّا المصباح الآخر فلم يكن موصولاً بمحوّل. لذا، كانت الطاقة الواصلة إليه تنقل في أثناء رحلتها، لتتحوّل إلى حرارة تسري عبر الأسلاك، بما يُعرّف بالتبدّد.

ولما كانت الطاقة تُفقد عندما تقطع مسافات طويلة عبر الأسلاك، فقد فكّرت في استخدام الفكرة نفسها مع الموّلّد والمذياع. فذهبت إلى كومة الخردة المكوّنة من قطع أجهزة المذياع، ووجدت محرّكاً قديماً. فتحتّه، ثمّ أخرجت بكرته. بعد ذلك، استخلصت السلك النحاسي الطويل، وبدأت ألّفه حول عصا، ثمّ وصلّت أحد طرفي ذلك السلك بالموّلّد. أمّا الطرف الآخر فوصلته بالمذياع. وقد تسبّب ذلك في ضياع كمية كافية من الطاقة؛ ما سمح للمذياع بالعمل من دون حمل زائد.

بقيت الطاحونة الهوائية على العمود طوال يومين، وكانت مخفية بعيداً عن الأعين خلف البيت. وفي تلك الأثناء، ذهبت برفقة غيلبرت وجيفري لبناء البرج. التقينا في الصباح الباكر أمام بيتي، وحملنا فأساً وحراباً، ثمّ مشينا في أجمة اليوكالبتوس الواقعة خلف بيت جيفري. كانت تلك الغابة هي نفسها التي أشرت إليها فيما مضى، وتعرّضت فيها - بحسب اعتقادي - إلى السحر من بائع العلكة؛ إنّها الغابة نفسها التي سلّمت فيها لقوّة السحر، وتقبّلت الهزيمة، وها أنا أعود إليها الآن لأقطع بعض أشجارها؛ كي أبنى منها سلماً للعلم والإبداع، وهو شيء أعظم وأكثر واقعية من أيّ سحر في البلاد.

سرنا بيّط في الغابة، ونظرنا إلى الأشجار بعناية. اخترنا أخيراً واحدة يبلغ طولها ستة أمتار تقريباً.

سألت كمن يفكر بصوت مسموع: هل هذه طويلة كفاية؟ هل هي قوية كفاية؟

هزّ جيفري وغيلبرت رأسيهما موافقين.

قلت: فلنبداً إذن.

انهال ثلاثتنا ضرباً على الجذع بالأنصال، فسقطت الشجرة على الأرض بعد عشر دقائق فقط. ثم أخذنا نشذبها من الأغصان بحرابنا، ونزعنا عنها اللحاء بأيدينا. بعد ذلك، قطعنا شجرتين أخريين بالطريقة نفسها، وقضينا الظهيرة ونحن ننظفهما من الأغصان واللحاء. وما إن أشارت الساعة إلى الثالثة مساءً حتى كنا نحملها على أكتافنا عائدتين إلى البيت.

حفرنا خلف غرفتي ثلاث حفر، عمق كل منها متر واحد، وبينها مسافة متساوية. وبعد أن لفظنا أسفل الأعمدة بأكياس الجامبولحمائتها من النمل الأبيض، وضعناها في الحفر. وكان جيفري قد تبرّع بالأجر الذي حصل عليه من العمل في طاحونة الذرة لشراء كيس من المسامير. استخدمنا الأغصان التي أزلناها عن الأشجار وثبتناها بالمسامير على الأعمدة لتصبح دعامات (درجات) السلم، بدءاً بمسافة أربع أقدام؛ كي لا يتمكن الأطفال من تسلقها. وما إن ثبتنا أول دعامة في مكانها حتى صعداً عليها لنثبت الثانية، حيث استعملنا الجزء الخلفي من الفأس مطرفاً.

أكملنا بناء البرج مع غروب شمس الأصيل. كان ثابتاً بارتفاع ست عشرة قدماً، لكنه بدا من مسافة قريبة كزرافة مترنحة شربت كثيراً من الكاتشاسو.

قلت: اخلدوا إلى النوم يا رجال، وغداً سننصب الآلة.

وفي اليوم القادم، حضر غيلبرت وجيفري الساعة السابعة صباحاً تقريباً. كان هيكل الطاحونة يزن نحو تسعين رطلاً، وكنت على علم أن الطريقة الوحيدة لرفعه إلى أعلى ستكون باستخدام حبل وبكرة. لم يكن لديّ حبل متين كفاية. لذا، استخدمت حبل الغسيل الغليظ المخصوص بوالدتي للقيام بالمهمة. ففككنا الحبل من مكانه، ثم ثبتناه بمقبض الخيزران في الطاحونة.

وقد استخدمت الطرف الآخر من الحبل في تسلُّق البرج، ولَفَّ السلك من فوق الدعامة العلوية، ثم رميته إلى غيلبرت في الأسفل. أمَّا جيفري فوقف على دعامة في الوسط لتوجيه الآلة في أثناء رفعها. وقد استطعت من مكاني هناك رؤية المدى والأفق فوق شجرة الأكاسيا، حيث كانت الحقول تعانق المرتفعات، فصرخت: حسناً يا غيلبرت، ارفعها!

بدأ غيلبرت يسحب السلك بحذر، فارتفع مقبض الطاحونة ببطء في البداية، ثم ارتفع الهيكل، وأخذ يتأرجح في الهواء، فقلت: على مهلك! سحب ثلاثتنا السلك بكل ما أوتينا من قوَّة، ثم صرخت: هيا يا رجال، لنشاهد مدى قوتكم.

قال غيلبرت مصارعاً حبل الغسيل: أنا أسحب بأقصى طاقتي. لا تدعه يفلت منك يا جيفري.

فردَّ قائلاً: قم أنت بعملك، وسأقوم أنا بعلمي!

ارتفعت الطاحونة إلى أعلى البرج رويداً رويداً، وكانت تتأرجح مع كلِّ سحبة، وتضرب شفراتها الثمينة بهيكل البرج الخشبي. وعلقت مرَّات عدَّة بدعامات البرج، فكان جيفري يحرِّرها، مُنبِّهاً إيَّاه لتوخي الحذر في أثناء ذلك، بقولي: حذار، وإلا كُسرت الشفرات!

فيرد: لا تخف!

تطلَّب الأمر نحو نصف ساعة لإيصالها إلى القمة. وحين أصبح المقبض بمتناول اليد أمسكت به، قائلاً لغيلبرت: اربطها!

أخذ غيلبرت يلفَّ السلك حول العمود الرئيس، فثبَّت الطاحونة في مكانها. وحالما تمسَّكت بها انضم إليَّ جيفري في الأعلى لتثبيتها في مكانها.

كنا في اليوم السابق قد عملنا ثقبين في الأعمدة الخشبية، بوساطة مسمارين نزعناهما عن محور درّاجة هوائية (استغرق تثبيت المسمارين بعمود خشبي قطره ثمانية إنشات وقتاً طويلاً؛ لأننا استخدمنا المثقاب الذي يُسَخِّن على النار). كنا أيضاً قد أخذنا

الدَّرَاجَة إلى متجر غودستين، وجعلناه يستخدم لهب آلة اللحام لعمل ثقبين متشابهين في عارضة الهيكل المتقاطعة.

في الوقت الذي حمل فيه جيفري المسامير والحلقات والصواميل في جيبه، قمت أنا بتثبيت الطاحونة بموازاة الفتحات. كنت أشعر بالآلة تصارع للإفلات من يدي.

قلت: اعمل بسرعة، فهذا الشيء ثقيل جداً!

قال: أنا أحاول ذلك. اصمد حتى أنهي عملي.

أدخل جيفري المسامير وثبتها بمفتاح الربط. وحالما انتهينا من تثبيت الطاحونة، نظر كلٌّ منا إلى الآخر مبتسماً. شعرت حينئذٍ أنني قوي وذو جلدٍ. وفي حين أخذ العرق يتصبّب على وجهي الذي برد بفعل النسيم، كنت أتشوّق لرؤية الشفرات وهي تدور.

نزل جيفري عن البرج، وبقيت أنا في مكاني متأملاً المنظر. فشاهدت من جهة الشمال الأغشية الحديدية التي تسقف المركز التجاري، وصفّ الأكشاك البنيّة التي تقع خلف الشارع الرئيسي. وفجأة، حدث شيء غريب؛ إذ بدأ صف من الناس يدلف عبر الأزقة من المحالّ مُتّجهاً نحوِي. كانوا قد شاهدوا البرج من السوق؛ فبدأوا يسيرون نحو بيتي. تجمّع العشرات عند القاعدة في دقائق معدودة، وقد عرفت منهم بعض التجار الذين كانوا يعتمدون قبّعاتهم الدائرية، ويرتدون أثوابهم الفضفاضة. كان أحدهم يُدعى كالينو.

سأل: ما هذا الشيء؟

ولمّا لم يكن هنالك مصطلح مرادف للطاحونة الهوائية في لغة التشيتشيوا، فقد أجبته باستعمال مصطلح «ماغيسي إمبهييو»، قائلاً: رياح كهربائية.

فسأل: وما الذي تفعله هذه الآلة؟

أجبت: تولّد الكهرباء بطاقة الرياح. سأريك كيف.

مستحيل!، قالها كالينو هازئاً، ثمّ استدار ليرقب ردّة فعل الحشد، قائلاً: تبدو لي

كبرج الإرسال. ما هذه اللعبة؟

قلت: ارجع إلى الوراء، وراقب.

قفزت من على البرج، وركضت إلى غرفتي لإحضار القطعة الأخيرة. كنت قد وجدت في صباح ذلك اليوم قسبة غليظة، فقطعت منها جزءاً طوله ثمانية إنشات؛ وهو حجم مثالي لتثبيت لمبة المولّد الصغيرة. قمت بعدها بلفّ سلك نحاسي طويل على قاعدة اللمبة، ثمّ أدخلته في القسبة بحيث يتدلّى طرفه من الجانب الآخر. كان ذلك بمثابة تجويف لللمبة. بعد ذلك، أمسكت القسبة واللمبة بيدي، ثمّ تسلّقت البرج مجدّداً، وشبكت أسلاكه بأسلاك المولّد. وفي هذه الأثناء، توافد مزيد من الناس إلى المكان، فأخذت أنظر إليهم بطرف عيني.

سأل مُزارع يُدعى باندا: ماذا تظنونه فاعلاً الآن؟

أجاب رجل سمين: هذا هو مجنون ساحة الخردة الذي حدثني عنه أبنائي. أشعر بالأسى حيال والدته!

نظرت إلى الأسفل مرّة أخرى، فإذا بوالديّ وشقيقتي في آخر الحشد؛ ينتظرون بعيون حائرة. كانت أفواههم فاغرة بعض الشيء، كأنني في مباراة والكرة بجوزتي قبل ثانية من نهايتها. كانت حركتي قد أصبحت تلقائية في تلك الأثناء. فقد تدرّبت لهذه اللحظة طوال شهور عدّة. أصبح هنالك الآن نحو ثلاثين شخصاً بالغاً عدا أفراد عائلتي، إضافة إلى كثير من الأطفال.

كان الجميع يشيرون إليّ، ثمّ أخذ بعضهم يقول:

– دعونا نشاهد مدى جنون هذا الفتى.

– اهدوا! سيكون هذا عرضاً شائقاً.

هبّت الرياح عبر عارضات البرج، فخلطت رائحة شحم السلسلة بالبلاستيك المذاب. وبقي مبرق الدراجة المشي محشوراً بالعجلة مُثبّتاً لها، لكنّ الآلة أخذت تتنّ مع هبوب النسيم، كأنّها تتوسّل إليّ لكي أطلقها، فقلت لنفسي: ها نحن أولاء.

أمسكت بمبرق الدرّاجة، وزحزحته عن مكانه، فبدأت الشفرات تدور. كانت السلسلة مُثَبَّتة جيداً بالعجلة المسنّنة، فأخذ الإطار يدور ببطء، مُصدراً صريراً وأنيباً في البداية. لقد حدث كلُّ شيء بالحركة البطيئة. كنت أريدها أن تُسرّع في الحال.

رجوتها قائلاً: هيا، لا تخرجيني الآن.

بدأت سرعة دوران الشفرات تزداد شيئاً فشيئاً.

قلت لنفسى: هيا، هيا.

عندئذ، هبّت رياح ضربت جسدي وأصبحت الشفرات تدور بسرعة كبيرة. اهتزّ البرج مرّة أُخرى، وكدت أفقد توازني. فوضعت مرفقي حول العارضة الخشبية بينما كانت الشفرات تدور كمروحة غاضبة خلف رأسي. ثمّ حملت اللمبة أمام عينيّ، مُنتظراً حدوث المعجزة. توهّجت اللمبة لوهلة، ثمّ ظهر ضوء ساطع بهيج. أوشك قلبي أن يقفز من مكانه.

قال أحدهم: انظروا، لقد صنع ضوءاً!

قال آخر: لقد كان مُحَقّاً فيما قال!

تدافعت مجموعة من طلاب المدرسة إلى الأمام؛ سعياً لرؤية أوضح.

قالوا: انظروا كيف تدور!

كان ضوءاً بهيباً يخصّني من دون منافس! فرفعت يديّ في الهواء، وصرخت فرحاً. ضحكبت كثيراً حتى إنني أُصبت بالدوار. فأصبحت أتدلىّ بذراع واحدة واللمبة تتوهّج في يدي الأخرى، ثمّ أخذت أنظر إلى العيون التي ترقبني من أسفل، والتي أصبحت الآن مفتوحة على آخرها من هول ما ترى.

صرخت قائلاً: هذه رياح كهربائية. أخبرتكم أنني لست بمجنون!

بدأ المتجمهرون يهتفون واحداً تلو الآخر، ثمّ رفعوا أيديهم في الهواء، مُصَفِّقين

صارخين:

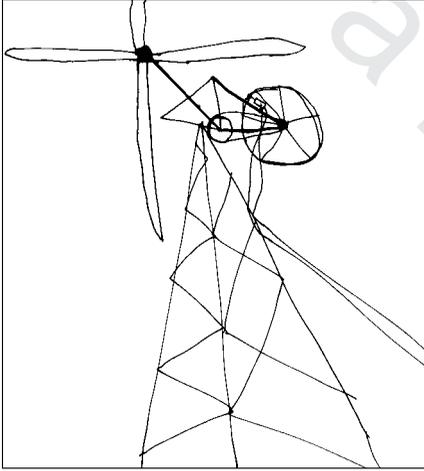
– واتشيتا بوبينا! أحسنت صنعاً!

– لقد نجحت يا ويليام!

– كُنَّا نشك في قدراتك، وانظر ماذا صنعت الآن!

قلت: لقد نجحت، والآن حان وقت التوسُّع. انتظروا، ولسوف ترون!

بدأ البالغون من الحضور يوجَّهون إليَّ الأسئلة بصوت مرتفع، لكنَّ أصواتهم ضاعت في غمرة ضجيج الشفرات التي كانت تدور خلفي بسرعة. فأخذوا يتحلَّقون حول غيلبرت وجيفري؛ رغبة في تعرِّف مزيد من التفاصيل. وفي هذه الأثناء، لم يكفَّ هذان الاثنان عن الابتسام.



وقفت في مكاني نحو نصف ساعة أعيش اللحظة، فقد كنت في المكان المناسب لفعل ذلك. لم أنزل إلا بعدما أصبحت اللمبة ساخنة جداً بفعل التيار، وكان عليَّ أن أفلتها.

وما إن حلَّ وقت الهاجرة حتى ثبَّت اللمبة بالعارضة العليا من الطاحونة وتركتها هناك. كنت ما أزال مُنتشياً بفعل ما حصل، وشعرت

أول طاحونة هوائية كبيرة من صني، طولها خمسة أمتار تقريباً (أكثر من ست عشرة قدماً)، وهي مزوَّدة بمولِّد دَرَاجَة هوائية، قدرته اثنا عشر فولت. إنَّها تحفتي الفنية.

برغبة في حرق بعض الطاقة، فذهبت إلى السوق التجاري لكي أحظى بشيء من المجد هناك. وحين مررتُ بالأكشاك المترامية على جنبات السوق تمكَّنتُ من رؤية الضوء في قاع الوادي؛ إذ

كانت اللمبة متوهَّجة بفعل موجات الحرارة، ما حفزني إلى الوقوف هناك مدَّة طويلة لتأملها.

وفي هذه الأثناء، قال رجل يقف بجانبني مُمسِكاً بكيس من الطماطم: ما ذلك الشيء

هناك؟ إنَّه يدور في الهواء كطائرة مروحية.

أجابته بأعنة الطماطم؛ ماغي، وكانت صديقة لوالدي، قائلة: إنها للفتى الذي بجانبك، لماذا لا تسأله؟

فقال: هل هذا صحيح؟ كيف أمكنك فعل ذلك؟

شرحت الأمر للجميع بالطريقة نفسها. لكنّه قال: ما زلت لا أفهم. أريد أن أذهب وأرى بنفسي.

وفي الشهر اللاحق، بلغ عدد الذين حضروا لمشاهدة الضوء نحو ثلاثين شخصاً يومياً.

كانوا يسألونني: كيف تمكّنت من فعل هذا؟

فكنت أردّ محاولاً تجنّب الغرور: بالعمل المضني، وكثير من البحث.

كان كثير من الزوّار رجال أعمال قَدِموا من مناطق أخرى للمتاجرة في السوق. فقد أصبحت الطاحونة مصدر جذب للتجار المتنقلين، ومحطة إجبارية يتعيّن الوقوف إزاءها عند المرور بقريتنا. وجاء آخرون من القرى المجاورة على درّاجاتهم الهوائية، حاملين الدجاج وأكياس الذرة. وتوقّفت نسوة يحملن الطحين على رؤوسهن، وأخذن يتحدثن مع والدي.

قالت إحداهنّ: لقد أنعم عليك الله بآبن يصنع المعجزات. لن تحتاجي إلى الكاز بعد الآن.

أمّا الزوّار من الرجال فتوجّهوا إلى والدي، ودار بينهم وبينه الحوار الآتي:

— أهذا من صنع ابنك؟

— نعم.

— يا له من فتى عبقرى! من أين جاء بتلك الأفكار؟

— إنّه يقرأ كثيراً من الكتب. ربّما تعلّم منها.

— هل يعلمون بشأنه في المدرسة؟

– لقد أُجِبر على ترك المدرسة. لقد صنعها بنفسه.

انشغلت في ذلك الشهر بتنظيف الحقول وتحضيرها للموسم القادم، وقد انتابني شعور بالفرح في أثناء العمل. وفي حال كنت أعلم في الحقل المحاذي للبيت، فكثيراً ما كنت أتوقّف في أثناء الضرب بالمعول؛ لأراقب الشفرات وهي تدور.

ولدى عودتي إلى البيت مساء بعد العمل، كانت والدتي تقول لي: لقد جاء كثير من الناس اليوم، وطرحوا أسئلة عدّة، لكنني لم أتمكن من الإجابة عنها. فأخبرتهم أن يعودوا مجدداً.

في أثناء لعب الباوو ذا مساء مع غيلبرت وجيفري قرب صالون الحلاقة، لفّ المركز التجاري الظلام بسبب انقطاع الكهرباء مرّة أخرى. فانطلقت إلى البيت تحت جنح الظلام، ثم وصلت للعبة، وقفلت عائداً إلى السوق.

قال أحد الرجال: يا إلهي، كم أكره انقطاع الكهرباء!، ثم غادر صالون الحلاقة مغطياً رأسه بقبّعة.

فقلت مُبتسماً: انقطاع الكهرباء! ماذا يعني ذلك؟ هل رأيتم بيتي يا رجال؟

أطل السيد إيونغفا من صالونه، وهو يمسك بآلة الحلاقة المتعطّلة، قائلاً: أعتقد أنّك تفرح لانقطاع الكهرباء هنا لكي تتفاخر برياحك الكهربائية.

قلت: وبما.

وبعد مرور شهر على هذه الحادثة، بدأت العمل على إيصال الضوء إلى غرفتي؛ ما يتطلّب شراء كثير من الأسلاك الكهربائية، لكنني لم أكن أملك المال الكافي كالعادة. وبعد يومين، كنت أنا وغيلبرت نتسكّع في بيت تشاريتي قرب المركز التجاري، فلمحت أمتاراً عدّة من الأسلاك النحاسية المعزولة (النوع الذي أريده تحديداً) تُستخدم حبلًا للغسيل. كما كان في زاوية الغرفة لفّة (بكرة) كبيرة منها.

قلت لتشاريتي: كيف تلهو بأسلاك مثل هذه بينما أنا في حاجة ماسة إليها يا رجل؟

أفاد تشاريتي بأنه حصل على الأسلاك لقاء عمله مع عمّه سائق الشاحنة، الذي باعه إيّاها بسعر منخفض بحكم القرابة. أخبرت تشاريتي أنّه يتعيّن عليّ جني بعض المال، ربّما بإيجاد وظيفة في السوق التجاري. ثمّ قلت: سأذهب الآن للبحث عن عمل. ولكن، قبل أن أبتعد، أخرج غيلبرت مئة كواتشا وأعطانيها، وبذلك أصبحت أملك ثلاثين متراً من الأسلاك.

قلت: هذا ما أحتاج إليه تحديداً يا غيلبرت. سأتمكّن الآن من إضاءة غرفتي. أعدك أن أرد لك مالك قريباً.

قال: لا تقلق حيال ذلك، ما عليك سوى إضاءة غرفتك.

ولمّا بدا الأمل بعيد المنال، ظهر غيلبرت مرّة أخرى لتقديم المساعدة.

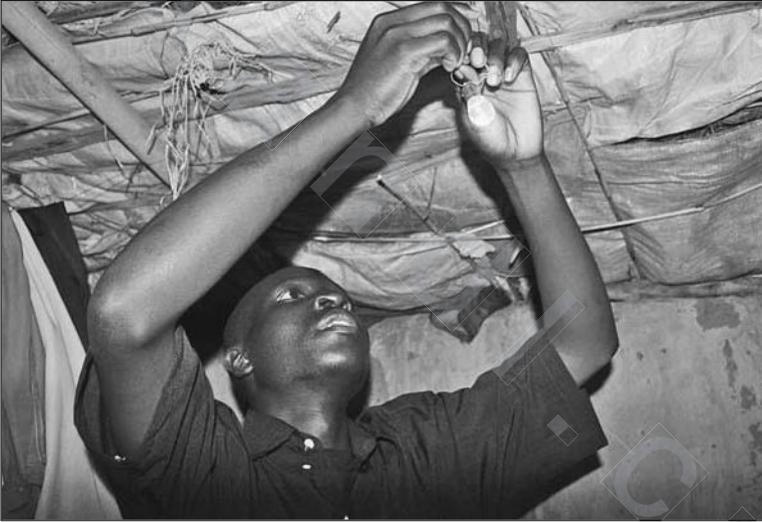
خرجت من بيت تشاريتي مسرعاً حاملاً بكرة الأسلاك. انطلقت في الطريق نزولاً إلى الوادي، ثمّ توقّفت عند بقعة خالية من الأشجار أمام بيتي مباشرة، حيث شاهدت الطاحونة الهوائية وشفراتها التي كانت تدور بعنف. وكنت كلّما رأيت ذلك المنظر أُصيبت معدتي بحالة من الانقباض والهيجان. أخذت نفساً عميقاً بعدها، ثمّ أكملت طريقي إلى البيت.

وحين وصلت البيت، فككت الأسلاك عن البكرة الخشبية، ثمّ قست المسافة بين غرفتي والمولّد، وزدت عليها بضعة أمتار إضافية من باب احتياطاً، ثمّ قصصت الأسلاك بسكينتي. بعد ذلك، تسلّقت البرج مُمسِكاً بالسلك، ثمّ فككت القصبّة واللمبة من على العارضة العلوية، ثمّ سحبت أسلاك المولّد الموصولة. لم أشأ أن أُصاب بصعقة. لذا، تجنّبت لمس السلكين في الوقت نفسه. أدت الرياح الشديدة إلى دوران الشفرات بسرعة قربي، لدرجة أنّني خفت أن تقص شعري. وقد تمكّنت أخيراً من فصل السلكين بعضهما عن بعض بعد عمليات عدّة من الشدّ والنتي. وبعد أن وضعت القصبّة واللمبة في جيبي، أوصلت السلك النحاسي الجديد بسلك المولّد، ثمّ لففتها بكيس جامبو عند نقطة الالتقاء، ثمّ نزلت.

كان سقف غرفتي مصنوعاً من بعض أغصان أشجار اليوكالبتوس، التي كوّنت دعامة لغطاء بلاستيكي أسود، وطبقات من قش الأعشاب. وضعت سلماً على جدار غرفتي الخارجي، ثمّ حدّدت مكان العارضة المركزية ولففتها بالأسلاك مرّات عدّة، وأبقيت على

مترين إضافيين. وبعد أن شبكت طرف السلك بعمود خيزران طويل، وضعتُه بمحاذاة عارضة السقف تحت الغطاء البلاستيكي والقش، وصولاً إلى الغرفة.

وحالما أصبح السلك داخل الغرفة، وقفت على السرير مُمسِكاً به، ثمّ لففته حول العارضة الموجودة فوق السرير مباشرة. ولمّا أعدت وصل القصبه واللمبة أضاءت الغرفة، فركضت باتجاه الباب وأغلقتَه بقوة، ثمّ أخذت أنظر إلى الضوء بدهشة. كانت نافذتي تتألف من غطاء فضي اللون. لذا، لم تكن تسمح بنفاذ الضوء. ولما كان الباب كان مقفلاً، فقد نشرت اللمبة الضوء في كلِّ مكان، حيث رأيت أكوام الخردة المعدنية ملقاة في كلِّ زاوية، والصواميل والمسامير مبعثرة على الأرض الطينية إلى جانب قطع من الأسلاك. لقد أصبح لديّ الآن مكاني المضاء المخصوص بي أول مرّة.



صورتني في أثناء توصيل اللمبة في غرفتي. إنها - كما ترون - لمبة صغيرة مأخوذة من سيارة، وهي تتدلى من السقف.

وكانت شقيقتي قد لمحنتني أدخل مسرعاً، فأخذن يطرقن الباب لرؤية ما يحدث.

سألت دوريس: هل لنا أن نلقي نظرة عليها؟

قلت: تفضّلن بالدخول.

استلقيت في سريري تلك الليلة وأنا أُحدِّق باللمبة. كانت تتوهج ضوءاً أصفر بينما تصرّ الشفرات في الخارج، وكان هذا الضوء كافياً لرؤية يديّ وقدميّ والمكتبة بجاني. وما

هي إلا لحظات حتى تجتمع أفراد العائلة كافة لتأمل المشهد، لقد حشروا أنفسهم في غرفتي الصغيرة مشدوهين من تلك الإضافة الجديدة التي ميّزت بيتنا.

قال والدي: انظروا إلى ويليام الذي سيبقى مستيقظاً بعد حلول الظلام!

قالت والدتي: أحسنت يا بني. نود أن نحصل على مثل هذه الإضاءة في غرفنا نحن

أيضاً، فهل يمكنك فعل ذلك؟

قلت مازحاً: هل أنت متأكّدة أنك تريدين كهرباء يوئدها رجل مجنون؟

قالت مبتسمة: لقد أثبت أننا كنا على خطأ. لكنني أعترف أنني كنت قلقة حيالك

بعض الشيء.

سألتّ روز: ماذا لو هدأت الرياح؟

أجبت: سينطفئ الضوء وسأضيع. لكنني أفكر في خطة لكي أحصل على بطارية.

قلت لهم: إنني بمجرّد حصولي على بطارية سيارة ومزيد من الأسلاك، فسأتمكّن من

تخزين الكهرباء لاستعمالها حين تهدأ الرياح. يمكن لذلك أيضاً تزويد البيت كلّه بالكهرباء.

ولكن، يتعيّن عليّ القيام بذلك تدريجياً. وما إن يرى مشروع النور حتى يتمكّن والداي من

توفير المال الذي يدفعانه لشراء الكاز. تلك هي البداية فحسب. كانت خطوتي القادمة هي

بناء آلة لضخ الماء إلى الحقول؛ إذ ستصبح الطواحين الهوائية - يوماً ما - درعنا الواقية

في مواجهة الجوع.

شعرت تلك الليلة بحماس منعني من النوم، فبقيت مستيقظاً بعدما خلد الجميع إلى

النوم، أقلب صفحات كتاب «شرح الفيزياء»؛ استعداداً لخطوتي اللاحقة. كنت أتوقّف بين

الفينة والأخرى لألقي نظرة على الضوء مُتأملاً توهّجه. فقد صبغ الوهج الدافئ الجدران

وصفحات الكتاب، وانعكس عن غيوم الغبار الحمراء في الخارج. أيضاً هبّت رياح قوية

كالمعادة تلك الليلة.

